

كتاب النغم

لعمري بن علي بن عمري المنعم

منقول عن نسخة مصورة عن النسخة الوحيدة المحفوظة بالمتحف البريطاني

عني بتحقيقه والتعليق عليه

محمد بن أحمد الأرمي

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة يحيى بن علي^(١) بن يحيى النجاشي ، مولى أمير المؤمنين المعتضد بالله^(٢)
في الموسيقى^(٣)

نقول : قد ذكرنا في كتابنا الذي قبل هذا صفة المخني ، وما يجب أن يكون عليه ؛
ووصفنا ما فيه نهاية من ذلك . ونصف الآن أمر النغم ، وعددها ، وما يأتلف منها^(٤)

(١) أديب شاعر مطبوع ، كثير الاقتنان في علوم العرب والعجم . ولد سنة ٢٤١ هـ ،
وحدث عن أبيه وعن الزبير بن بكار واسحاق الموصلي وغيرهم ، وروى عنه جماعة منهم
أبو بكر الصولي مؤلف (أدب الكتاب) و (الأوراق) . وجالس الموفق والمعتصم
وخص به وبالمكتفي من بعده ، وعلت رتبته عند المكتفي . وكان متكلماً معتزلي الاعتقاد ،
وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بحضرة المكتفي ، وله مع المعتضد وقائمه ونوادير .
وله كتاب (الباهر في أخبار شعراء بخضرة المكتفي) ولم يتممه ، وتممه ولده أحمد
ابن يحيى . وكانت وفاته سنة ٣٠٠ هـ

(و ترجمته في تاريخ بغداد للحافظ البغدادي ١٤ : ٢٣٠ ووفيات الأعيان ٢ : ٢٣٥)
و ٢٣٦ ومعجم الأدباء ، ٢٠ : ٢٨)

(٢) هو أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الموفق طليحة بن المتوكل على الله العباسي .
كان عضداً لأبيه في حروبه وأعماله ، وولى العهد بعد وفاة أبيه وبعد خلع المفوض بن
المعتد على الله سنة ٢٧٩ هـ ، وبيع له بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه المعتد لأحدى
عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة ٢٧٩ هـ ، وتوفي لثمان بقين من شهر ربيع الآخر
سنة ٢٨٩ هـ ، فكانت مدة خلافته تسع سنوات وتسعة أشهر وثلاثة أيام .
(راجع أخباره في تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير والتنبيه والإشراف للمسعودي
والنبراس لابن دحية ومحاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضري)

(٣) لم يذكر هذه الرسالة مترجموه كابن النديم والخطيب البغدادي وابن خلكان ،
وإنما ذكرها أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني (٨ : ٢٥ ط الساسي) في بحثه في
(الأصوات التي تجمع النغم العشر) عرضاً ، وسماها (كتاب النغم) .

(٤) في الأصل : « منه » .

ويختلف ، ومواقع إصبعٍ إصبعٍ من وترٍ وترٍ ، وموضع كل نغمة من كل دستان^(١) ؛

(١) الدستان ، ويجمع على دساتين كما فى المخصص « ١٣ : ١٢ » ومقدمة ابن خلدون ، وعلى دستانات كما فى تاج العروس : لفظ فارسى ، يقابله فى العربية « العتب » ، وفى الانكليزية *tabla* ، غير أن العتب لم يستعمله أصحاب الموسيقى ، وإنما جاء ذكره فى بعض المعجمات والأشعار القديمة . قال ابن سيده فى المخصص « ١٣ : ١٢ » : « يقال للتي يسميها الفرس الدساتين ، العتب . قال الأعشى :

وثنى الكف على ذى عتب يصل الصوت بندى زير أبج »

وقد أغفل الدستان مجد الدين الفيروزابادى فى القاموس المحيط ، وابن منظور فى لسان العرب ، والجواليقى فى كتاب العرب ، والخفاجى فى شفاء الغليل ، وإنما ورد نعتة فى القاموس وفى اللسان فى مادة « عتب » ، وهو قوله : « والعتب : العيدان المعروضة على وجه العود منها تمتد الأوتار الى طرف العود . وفى التاج « ١ : ٣١٤ » : « وعتب العود : ما عليه أطراف الأوتار من مقدمه . عن ابن الأعرابى ، وأنشد قول الأعشى : وثنى الكف . . . البيت السابق الذى رويناه عن المخصص . ثم قال : « العتب : الدستانات ، قاله أبو سعيد . »

وفى مفاتيح العلوم « ١٣٨ » لمحمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي : « والدساتين : هى الرباطات التى توضع الأصابع عليها ، واحدها دستان . والدستان أيضا : اسم لكل لحن من الأخان المنسوبة الى باريد . » ثم عرض لاسمى دساتين العود فقال : « وأسمى دساتين العود تنسب الى الأصابع التى توضع عليها . فأولها دستان السبابة ويشد عند تسع الوتر وقد يشد فوقه دستان أيضا يسمى الزائد ، ثم يلي دستان السبابة دستان الوسطى وقد يوضع أوضاعا مختلفة فأولها يسمى دستان الوسطى القديمة والثانى يسمى دستان وسطى الفرس والثالث يسمى دستان وسطى زلزل . وزلزل هذا أول من شد هذا الدستان واليه تنسب بركة زلزل . فأما الوسطى القديمة فشدها دستانها على قريب من الربع مما بين دستان السبابة ودستان البنصر ، ودستان وسطى الفرس على النصف فيما بينهما على التقريب ، ودستان وسطى زلزل على ثلاثة أرباع ما بينهما الى ما يلي البنصر بالتقريب . وقد يقتصر من دساتين هذه الوسطيات على واحد ، وربما يجمع بين اثنين منها . ثم يلي دستان الوسطى دستان البنصر ويشد على تسع ما بين دستان السبابة وبين المشط . ثم يلي دستان البنصر دستان الخنصر ويشد على ربع الوتر . »

وهذا أوضح كلام وأجمعه فى بيان معنى هذه الكلمة ومواضع استعمالها . أما أصحاب المعجمات الحديثة ، فلم يهتموا الى معناها ، وكل ما ذكروه عنها اما ناقص لا يدل على شئ ، واما فاسد لا معنى له ، فالمعلم بطرس البستاني فى محيط المحيط يقول : « الدستان من اصطلاحات أصحاب الموسيقى جـ دساتين . » والشرتونى فى ذيل أقرب الموارد « ص ١٧٠ » يقول : « الدساتين : أوتار العود فيما أظن (الاغاني) ! » والاثب لويس معلوف فى المنجد « ٢١١ ط ١٠ » يقول مثل قوله ، ولكن على سبيل الجزم لا الظن لأن الظن لا يغنى من الحق شيئا !! وفى معجم دوزى « ١ : ٤٤١ » :

t. de Musique. touche, Be, Descr. de L'eg. XIII 253 n.;
"Voyez ztcher. IV, 248. »

وأخر ما رأيته للمحدثين فى هذه الكلمة هو القرار الذى اتخذ مجمع فؤاد الاول لغة العربية فى تعريفات مصطلحات الموسيقى ، ونشر فى مجلته « ٥ : ١٦٧ » ، وهو قوله : « الدستان : موضع عقق الاصبع على الوتر . » وهو بسبيل من تعريف القدماء

ونبين ما سماه (إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(١)) « المجرى » في الأصوات التي رسم بعضها بمجرى الوسطى ، وبعضها بمجرى البنصر ؛ واختلاف ما بين أصحاب الغناء العربي ، مثل (إسحاق) ونظرائه : ممن جمع العلم بالصناعة والعمل ، وبين أصحاب الموسيقى يزعمون أنها ثمان عشرة ؛ وتقدمه^(٢) شرح بما تجتمع الأفكار^(٣) والأفهام .

قال (إسحاق بن إبراهيم) ومن يقول بقوله : إن النغمات عشر ، لبس في العيدان ولا المزامير ولا الحلق^(٤) ولا شيء من الآلات أكثر منها . فالنغمة الأولى ، المثنى^(٥) مطلقاً ، وهي النغمة التي يبتدىء بها الضارب قدر الطبقة على ما يريد من الشدة واللين ، ثم يسوي عليها العيدان والمزامير وسائر الآلات ، وتسمى هذه النغمة « العمد » . وإنما سميت « العمد » ؛ لأنها يعتمد عليها في الطبقة والتسوية . والنغمة الثانية ، السبابة على المثنى . والنغمة الثالثة ، الوسطى على المثنى . والنغمة الرابعة ، البنصر على المثنى . والنغمة

(١) هو النابغة الظريف نديم الخلفاء ، المحدث الفقيه الكلامي اللغوي الاخباري الاديب الشاعر المتفنن ، كتب الحديث عن سفيان بن عيينة ومالك بن أنس ، وأخذ الادب عن الأصمعي وأبي عبيدة ، وبرع في علم الغناء فغلب عليه ونسب اليه ، وكان الخلفاء يكرمونه ويقربونه ، وكان المأمون يقول : « لولا ما سبق لاسحاق على ألسنة الناس وشهر به عندهم من الغناء لوليت القضاء بحضرتي ، فانه أولى به وأعف وأصدق وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة » ولكنه اشتهر بالغناء ، وغلب على جميع علومه ، مع أنه أصغرهما عنده ، ولم يكن له فيه نظير .

كان كثير الكتب حتى قال ثعلب : « رأيت لاسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب ، وكلها سماعه ، وما رأيت اللغة في منزل أحد قط أكثر منها في منزل اسحاق ثم منزل ابن الأعرابي » ، وله نظم جيد وديوان شعر . وكانت ولادته في سنة ١٥٠ هـ ، ووفاته في سنة ٢٣٥ هـ .

(وت ترجمته في الأغاني ٥ : ٤٩ الى ١٣٤ - راجع فهرس الأغاني ، وفي الوفيات ١ : ٦٥ و ٦٦) .

(٢) كذا الأصل ، ولعل لفظ « بين » زائد ، فتكون الجملة : « وأصحاب الموسيقى يزعمون أنها ثمان عشرة »

(٣) كذا . (٤) في الأصل : « الأفكار » .

(٥) لا يعرف في أسماء الآلات ما يسمى (الحلق) ، فلهذا (العنق) . قال الخوارزمي في مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) : « العنق : الرباب ، معروف لأهل فارس وخراسان » .

(٦) ضبطه الخوارزمي في مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) « بفتح الميم وتخفيف النون على تقدير معنى ومغزى » .

الخامسة ، الخنصر على المثني . فهذه خمس نغم عليها المثني ، ثم يصير الى الزير^(١) فيبقى مطلقه ، لأنه مثل نغمة الخنصر على المثني ، ولا فرق بينهما . ثم النغمة السادسة ، السبابة على الزير . والنغمة السابعة ، الوسطى على الزير . والنغمة الثامنة ، البنصر على الزير . والنغمة التاسعة ، الخنصر على الزير . فهذه أربع نغم في الزير . وبقيت النغمة^(٢) العاشرة ، فكروها أن يفردوا لها وترّاً ، فيكونوا قد زادوا في العود وترّاً خامساً من أجل نغمة واحدة ولا يخرج فيه غيرها ، فطلبوها في أسفل هاتين ، فوجدوها في أسفل دستان الزير بالبنصر اذا جعلت السبابة من الزير بالبنصر منه ووقعت البنصر من أسفل المقدار مسافة ما بين دستان السبابة ودستان البنصر ، ووجدوها أيضاً تخرج في المثلث^(٣) بالبنصر ، فاستغنوا بوجودها في هذين الموضعين عن أن يزيدوا في العود وترّاً خامساً .

فهذه عشر نغمات متناسبات لا تشبه نغمة منها نغمة .

والين النغم ، مطلق المثني . وأشدّها وأحدّها النغمة التي تخرج في أسفل دستان الزير ، ثم لم يزل يصعد من شدة الى لين الى أن يصير الى نغمة مطلق المثني . وإيما لم يعتد المثلث والبنم^(٤) بنغمة ، لأنهم وجدوا كل نغمة فيها يخرج في المثني والزير ،

(١) الزير : أهمله الجواليقي في كتابه (المعرب) ، وهو الدقيق من الأوتار ، أو أحدها وأحكمها فتلا ، وزير المزهر مشتق منه ، كما في (القاموس) و (تاج العروس) . وفي (شفاء الغليل) : « الزير ، اسم وتر ... ذكره الجوهري ، وهو معرب » قال ابن الرومي :

فيه بم وفيه زير من النغمة م وفيه مثلث ومثاني

قال : « وهذه أسماء الأوتار كلها » وفي مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) : « هو رابع أوتار العود الأربعة » ، قال : « وهو أدقها » .

(٢) في الأصل : « النغم » .

(٣) ضبطه الخوارزمي في مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) « يفتح الميم وتخفيف اللام على مثال مطلب » .

(٤) البم : قال الجواليقي في (المعرب) : « أحد أوتار العود الذي يضرب به » أعجمي معرب . « وزاد الجوهري أنه « الوتر الغليظ من أوتار المزهر » . وفي شفاء الغليل : « من أوتار العود ، وهو والباج بمعنى (واحد) ، وهو معرب » . وفي مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) : « أوتار العود أربعة : أغلظها البم ، والذي يليه المثلث ... والذي يلي المثلث ... المثني ... والرابع هو الزير ، وهو أدقها » .

وذلك أن مطلق المثلث مثل الدبابة على الزير ، وسبابة المثلث مثل البنصر على الزير ،
ووسطى المثلث مثل الخنصر على الزير ، والبنصر على المثلث مثل النغمة التي في أسفل
دستان الزير ، وخنصر المثلث مثل مطلق المثنى . وكذلك البم أيضاً ، مطلقة مثل سبابة
المثنى ، وسبابة مثل البنصر على المثنى . ووسطاد كمثل الخنصر على المثنى ، وبنصره
يبطل لعلامة نذكرها في موضع غير هذا ، وخنصره مثل مطلق المثنى . وربما استعمل
الغني بنصر [٥] ^(١) على المثلث .

وهذه صورة العود وأوتاره ^(٢) ونغمة كلها ، وقد رسمنا النغم بحروف الجمل ^(٣) ليفهم

(١) هذه الزيادة منا .

(٢) في الأصل : « وأوتارها » .

(٣) في القاموس المحيط وشرحه التاج : « والجمل كسكر : حساب الجمل ، وهي
الحروف المقطعة على أبي جاد . قال ابن دريد : لا أحسبه عربياً . وقد يخفف ، قاله
بعضهم ، قال ابن دريد : ولست منه على ثقة » .

قلت : وقد استعملت هذه الحروف للدلالة على الأعداد ، ويسمى الحساب بها حساب
الجمل ، وأكثر ما يستعمل في الأعمال الفلكية ، ثم في التواريخ الشعرية ، ولكنه في
الأعمال الفلكية التزم فيه تقديم الأكثر على الأقل ، فيكتب ١٣ هكذا : > بقطع طرف
الجيء لثلاثاً يشتبه بالحاء ، و ١٨ هكذا : ح ، و ١٩ هكذا : بط ، و ٥٣ هكذا : نج بقطع النون
لثلاثاً لتفهم بالياء . وحيث أنهم يحتاجون في الأغلب إلى بيان الدرج والدقائق والثواني
ونحو ذلك ، وقد تخلو بعض المراتب من العدد ، اضطروا إلى اختراع شكل للصفر :
ليضعوه في المرتبة الخالية ، وقد جعلوا صورته هكذا : ' ' ' ' ' ، أو هكذا : ' ' ' ' ' .

وقد وقع الاختلاف بين المغاربة والمشارقة في ترتيب الحروف في (أبجد) ، فوقع
بسبب ذلك الاختلاف في بعض أعداد الحروف . وقد نشأ من هذا الاختلاف اختلاف
آخر ، وهو الترتيب الذي جرى عليه العمل فيما بعد ، وهو الجمع بين الحروف المتشابهة
في الصورة .

والخلاف بين طريقتي المشارقة والمغاربة في أعداد ستة أحرف ، وهي : السين
والصاد المهملتان والشين والضاد والطاء والغين المعجمتان . فالسين عند المشارقة بستين ،
وعند المغاربة بالثلاث مئة التي هي عدد الشين المعجمة عند المشارقة ، وهي عندهم آخر
الحروف بالألف الذي هو عدد الغين عند المشارقة ، وهي عند المغاربة بالتسع مئة التي
هي عدد الطاء عند المشارقة ، وهي عندهم بالثمان مئة التي هي عدد الضاد عند المشارقة ،
وهي عند المغاربة بالتسعين الذي هو عدد الصاد عند المشارقة ، وهي عند المغاربة بستين
عدد السين عند المشارقة .

وهاك ترتيب هذه الحروف حين الحساب بالجمل لدى الفريقين :

(١) ترتيب المشارقة : أ ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش

ت ث خ ذ ض ظ غ .

في الصورة ، فجعلنا النغمة الأولى ١ ، والثانية ب ، والثالثة ج ، ثم ه ، ثم و ، ثم ز ، ثم ح ، ثم ط ، ثم ي ^(١) . فان قال قائل : فما الانتساب الى المثلث والبم اذا لم يكن فيها ^(٢) نغمة إلا في المنى والزير ؟ والجواب في ذلك أن النغمات التي فيها دل ^(٣) ذلك في المنى والزير نحافة وجهارة بقدر فضل ^(٤) منظر البم والمثلث في غلظهما على إينهما على منظر المنى والزير في لطافتها مع شدتها ، ليست لنظائر يحكونها ^(٥) بمثلها من الأوتار ، ولو حكوها بنظائرها من المنى والزير أمكنهم ، ولكن حكيتها بالبم والمثلث أبلغ وأتم . وأيضاً إن مما دعاهم الى البم والمثلث الحاجة الى تحيين الضرب وتأليف الأوتار ، ليختلف على الأوزان ، فيسمع مرّة النغمة في المنى والزير بدقة وشدة ، ومرّة في البم والمثلث بجهارة ولين ، وإن كانت هذه النغم تلك النغم بأعينها ، لأنها اذا اختلفت في السمع كانت أعجب الى السامع ، وأحسن في مسموعه من أن يتكرر على أذنه شيء واحد بعينه . وفيها أيضاً أن الأوتار اذا كانت أربعة وسبعين بالنظائر من النغم التي في البم والمثلث على نظائرها من النغم التي في المنى والزير في مداراة الأوتار وتنويعها ، واستغني عن وتر إن انتقطع وقت الحاجة بوتر غيره الى أن يعاد . وفيها أيضاً تكثير الطبقات والاتساع فيها ؛ لينتقل المنتقل منها الى أوقعتها وأسهلها عليه .

وقال القدماء من أصحاب الموسيقى : النغم ثمانى عشرة نغمة ، واحتسبوا بالنغم التي في المثلث والبم ، وجعلوا أولى النغم مطلق البم ، والثانية الوسطى عليه ، واتحدوا على

= (ب) ترتيب المغاربة : أ ب ج د ه و ز ح ط . ي ك ل م ن ص ع ف ض ق ر س ت ث خ ذ ظ غ ش .
أما اختلاف الفريقين في ترتيب حروف التهجي ، فانه بعيد عن الغرض الذي استدعى هذا التعليق هنا .

(١) كذا ورد ترتيب هذه الحروف في النسخة المصورة فسقط منها الدال بعد الجيم . وأثبت في مكان الزاي ، ولست أشك في أنه تحريف من الناسخ . وفي الأصل بعد الياء ، بياض مقداره ٤ × ٤ س تركه الناسخ لرسم العود ، ولم يرسمه .

(٢) في الأصل : « فيها » .

(٣) كذا .

(٤) في الأصل « فصل » .

(٥) في الأصل « يحكوها » .

هذا الترتيب ، وزعموا أن النغم التي في المثلث والهمّ ليست مثل النغم التي في المثنى والزّير وإن كانت يوجد لها موافقة للسمع ، وذلك لأنهم ذكروا أن اتفاقها إنما يقع إذا نُقرت معاً واتحدت . فأما إذا نُقرت كلّ واحدة على الافراد ، فإن السامع يقف على أن النغم التي في المثلث والهمّ غير النغم التي في المثنى والزّير إذا كانت أضعافها ، وكانت نفعة الوتر لا تكون^(١) مثل نفعة نصفه إذا أفردت من كل واحد من الكل والنصف .

وإنما الاختلاف بين إسحاق ومن قال بقوله وبين أصحاب الموسيقى أن إسحاق جعل النغم تسعاً ، وجعل العاشرة نفعة الضعف ؛ لأنه يرى أن نغم الاضعاف^(٢) أخذه ، وأصحاب الموسيقى عمدوا الى هذه النغم التسع فأضعفوها ، واحتسبوا الكل ضعف نفعة منها أيضاً ، فصارت ثماني عشرة نفعة ، ولها - على الصوت منها في القياس ولم يسمعه - نغمتان بسطها^(٣) اعداد يعرف بالحساب ، ووضع قانون لها لطلبهم فيه كلها على الأزواج والافراد . وشرح العلة في وضع الدساتين من العود بحيث وضعت منه ، كلام بطول الكتاب باستيفائه .

قال يحيى بن علي بن يحيى المنجم : نرجع الى ما ذكره إسحاق بن إبراهيم الموصلي فيما يسميه « الجرى » ، وما وصف به ائتلاف المعنى واختلافها . قال إسحاق : إن نغم كل طبقة^(٤) يكون مجريين : أحدهما منسوب الى الوسطى ، والآخر الى البنصر وما يلبت^(٥) الاصبعان تتعاقبان في التناول يدخل واحدة منهما على الأخرى ، ونحن نثبتها فيما بعد .

والنغم المؤتلفة ست نغمات ، والنغم المختلفة أربع نغمات . فأما الست النغم المؤتلفة ، فهي : المثنى مطلقاً ، والسبابة ، والخنصر ، والبنصر على الزير ، فهذه تأتلف مع المجريين جميعاً ، فإنها [اذا]^(٦) أدخلت هذه النغم الست عليها^(٧)

(١) في الاصل بالياء المنناة .

(٢) بياض في الاصل مقدار كلمتين .

(٣) في الاصل : « ان نغما كل طبقة » .

(٤) كذا الاصل ، وقوله « تتعاقبان » هو في الاصل « يتعاقبان » .

(٥) الزيادة منا لتستقيم بها العبارة .

(٦) في الاصل : « عليهما » . والعبارة مع هذا التصحيح لا تزال تشتمر بالنقص .

اتئلفت معاً كاتئلافهما ، فإن أدخلت هذه الست النغم على البنصر ، كان المجرى للبنصر ، ونسب الصوت إليها قليل فيه مجرى البنصر .

وأما الأربع النغمات المختلفة ، فإن اثنتين منها متضادتان^(١) لا تأتلفان معاً ولا تجتمعان في صوت ، وهما الوسطى والبنصر على المثني اللتان ينسب إليهما^(٢) المجريان . وأما الاثنتان^(٣) الباقيتان من الأربع النغم المختلفة ، فهما الوسطى على الزير والبنصر على المثلث ، وليس تأتلفان في موضع . فأما الوسطى على الزير ، فاتها تأتلف مع الوسطى على المثني في مجراها ، إلا في موضع واحد لا يأتلف معها فيه ، وهو منها إلى البنصر على الزير ومن البنصر على الزير إليها . وأما البنصر على المثلث ، فاتها تأتلف مع البنصر على المثني في مجراها ، والموضع الذي تأتلف معها فيه منها إلى الوسطى على المثلث ومن الوسطى على المثلث إليها . وكما أن البنصر على المثلث مثل التي تخرج في الزير بالتنقر^(٤) في أسفل الدساتين ، وأن الوسطى على المثلث مثل الخنصر على الزير ، وكذا^(٥) لا تأتلف البنصر على المثلث مع الخنصر على الزير ، ولا على^(٦) الخنصر على الزير معها ، ولا تأتلف الخنصر على الزير التي تخرج بالبنصر في أسفل الدساتين ، ولا التي تخرج بالبنصر معها - فجميع الذي يأتلف في غناء العرب من النغمات العشر ويكون فيه الغناء ثماني نغمات ، تبين مذهبهم في ذلك ورد^(٧) بعض النغم إلى بعض أكثر ما يبنى عليه الصوت منها النغمات الثماني كلها . فعلى هذا يأتلف نغم غناء العرب ، وعليه تجري عامة أصناف الغناء . وقد يمكن أن يخالط الصوت^(٨) حتى يكون مؤلفاً من سبع نغمات ، ومن العشر النغمات كلها ، وذلك مثال بتألف^(٩) لطيف وحيلة رفيعة وعلم بوجود التأليف ومصارفه ، وليس بأن

(١) في الأصل : « فإن اثنتين منهما متضادتان » .

(٢) في الأصل : « إليها » .

(٣) في الأصل : « الأشبا الباقيان » .

(٤) في الأصل : « والتنقر » .

(٥) في الأصل : « وكذا » .

(٦) لعل هذا الحرف زائد - (٧) كذا .

(٨) في الأصل : « للصوت » .

(٩) كذا ، ولعله « مثل تأليف » .

شيئاً مما ذكر ولأنه لا يأتلف في المواضع التي وصفنا يأتلف^(١) ، ولكنه بالخروج من الجرى الى الجرى ، والانتقال اليه ، والدخول فيه من المواضع الممكنة التي يحسن ذلك فيها ، حتى لا ينكره السمع ، ولا يفصل للجري الواحد ، فيبني عليه الصوت ؛ فانه اذا كان كذلك^(٢) ، لم يكن ذلك . وليس في العربية هذا التأليف ، وقد يدل بعضها على أنه فيها لو تكلفه العالم ، لما هو ممكن موجود ، وذلك لأننا لا نزال^(٣) نجد الصوت قدر القوة من المجريين جميعاً من غير أن يبلغوا معه أكثر من ثمان نغمت ، وربما كان دونها ، وذلك من غنائهم قليل . ومن ذلك صوت ابن مسجج^(٤) ، ويقال : إنه لابن محرز^(٥) :

(١) كذا . (٢) في الأصل « ك » .

(٣) في الأصل « لا يزال » .

(٤) في الأصل : « ابن مسجج » بقاءين ، وهو خطأ . وهو أبو عثمان سعيد بن مسجج ، مولى بني جمح ، وقيل مولى بنى نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب . مكى أسود ، مغن متقدم من فحول المغنين وأكابرهم ، وأول من صنع الغناء منهم ، ونقل غناء الفرس الى غناء العرب . ثم رحل الى الشام وأخذ ألحان الروم والبربطية والأستوخوسية ، وانقلب الى فارس فأخذ بها غناء كثيراً ، وتعلم الضرب ، ثم قدم الى الحجاز ، وقد أخذ محاسن تلك النغم ، وألقى منها ما استقبحه من النبرات ، والنغم التي هي موجودة في نغم غناء الفرس والروم خارجة عن غناء العرب ، وغنى على هذا المذهب ، فكان أول من أثبت ذلك ولحنه ، وتبعه الناس بعده .

وكان ابن مسجج في مكة لما حاصرها الأمويون ، وفيها ابن الزبير ، في أواخر القرن الأول للهجرة . (وأخباره في « الأغاني » ٣ : ٨١ الى ٨٥) .

(٥) في الأصل « ابن محرز » ، وهو خطأ . وهو مسلم بن محرز ، وقيل : سلم ، وقيل : عبدالله ، ويكنى أبا الخطاب مولى بنى عبدالدار بن قصي ، وكان أبوه من سدة الكعبة ، أصله من الفرس . وكان ابن محرز يسكن المدينة مرة ومكة مرة ، وتعلم الضرب في المدينة من عزة الميلاء ، وشخص الى فارس فتعلم ألحان الفرس وأخذ غنائهم ، ثم صار الى الشام فتعلم ألحان الروم وأخذ غنائهم ، فأسقط من ذلك ما لا يستحسن من نغم النريقين ، وأخذ محاسنها فمزج بعضها ببعض وألف منها الأغاني التي صنعها في أشعار العرب ، فأتى بما لم يسمع مثله .

أجمل بعض معاصريه وصفه فقال « كانه خلق من كل قلب فهو يغنى لكل انسان بما يشتهي » قال أبو الفرج : « وهذه الحكاية بعينها قد حكيت في ابن سريج ، ولا أدري أيهما الحق » . (وأخباره في « الأغاني » ١ : ١٤٥ الى ١٤٧ الخ) .

يا من لقلب مقصر ترك المني لفواتها^(١)
 فان الوسطى والينصر على المثنى قد تنازعناه ، واشتركنا^(٢) فيه ، فافهم هذا
 واعرفه ؛ فاننا لا نقدر من صفة فعل نقول^(٣) إلا على نحو ما وصفنا .
 وقد تطف^(٤) عبيد الله [بن عبد الله]^(٥) بن طاهر حتى جمع العشر النغم في
 صوتين ، فجعل في أحدهما النغمات العشر على التوالي ، وحملها على الصوت الآخر على
 التقديم والتأخير . فأما الصوت الذي من النغم^(٦) على التوالي ، فهو (شعر)^(٧) :
 توهمت بالخبف رمماً محيلاً لعزة تعرف منه الطلولا^(٨)

(١) قال أبو الفرج في الأغاني ٨ : ٤٦ : « الشعر لمسافر بن أبي عمرو بن أمية
 ابن عبد شمس ، والغناء لابن محرز ثاني ثقييل مطلق في مجرى البصر عن اسحاق . وهذا
 الصوت يجمع من النغم ثمانية ، وكذلك ذكر اسحاق ، ووصف أنه لم يجمع شيء من الغناء
 قديمه وحديثه الى عصره من النغم ما جمعه هذا الصوت ، ووصف أنه لو تطف متلطف
 لأن يجمع النغم العشر في صوت واحد ، لا يمكنه ذلك بعد أن يكون فهما بالصناعة طويل
 المعاناة لها ، وبعد أن يتعب نفسه في ذلك حتى يصح له ، فلم يقدر على ذلك سوى
 عبيد الله بن عبد الله الى وقتنا هذا » . (٢) في الأصل « تنازعاه واشركنا » .
 (٣) الجملة مضطربة ، فلعلها « فاننا لا نقدر في صفة فعل أن نقول » .
 (٤) في الأصل « لطف » .

(٥) الزيادة من الأغاني (٨ : ٤٢ و ٤٦ و ١٩٠) . وهو أبو أحمد عبيد الله بن
 عبد الله بن طاهر بن الحسين ، قال أبو الفرج : « وله محل من الأدب والتصرف في
 فنونه ، ورواية الشعر وقوله ، والعلم باللغة وأيام الناس وعلوم الأوائل من الفلاسفة في
 الموسيقى والهندسة ، وغير ذلك مما يجلب عن الوصف ، ويكثر ذكره . وله صناعة في
 الغناء حسنة متقنة عجيبة تدل على ما ذكرناه هنا من توصله الى ما عجز عنه الأوائل من
 جمع النغم كلها في صوت واحد ، تتبعه هو وأتى به على فضله فيها وطلبه لها » .
 قال : « وكان المعتضد بالله رحمة الله عليه ربما كان أراد أن يصنع في بعض الأشعار
 غناء ، وبحضرة أكابر المغنين . . . فيعدل عنهم اليه ، فيصنع فيها أحسن صناعة ، ويزفر
 عن اظهار نفسه بذلك ، ويومي الى أنه من صناعة جاريته (شاجي) ، وكانت احدي
 المحسنات المبرزات المقدمات ، وذلك بتخريجه وتأديبه ، وكان بها معجبا ولها مقدما » .
 قال : « وأشعاره كثيرة جيدة ، كثير النادرة والمختار . وكتابه في النغم وعلل الأغاني
 المسمى (كتاب الآداب الرفيعة) كتاب مشهور جليل الفائدة ، دل على فضل مؤلفه » .
 (٦) يريد النغم العشر

(٧) الشعر لكثير عزة ، الشاعر الغزل المشهور « ترجمته في الأغاني ٨ : ٢٥ الى
 ٤٢ » . والغناء لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، قال أبو الفرج : « ونسبه الى جاريته ،
 وكنت عنها فذكر أن الصناعة لبعض من كثرت دربته بالغناء وعظم علمه وأتعب نفسه
 حتى جمع النغم العشر في هذا الصوت ، وذكر أن طريقتة من الثقييل الأول وأنه ليس
 يجوز أن ينسبه الى اصبع مفردة ، الى آخر ما قال » . « الأغاني ٨ : ٢٤ و ٢٥ » .
 (٨) في الأصل « لغيره يعرف منها الطلولا » والتصحيح من الأغاني « ٨ : ٢٤ ط =

تبدّل بالحَيِّ صوت الصدى ونوح الحمامة تدعو هديلاً^(١)
فانه جعل أول نغمة من هذا الصوت مطلق المثني ، ثم مرّ في النغم على الولاة حتى
صار الى النغمة الحادّة التي تخرج في أول دستان الزّير ، وهي العاشرة ، ثم يرجع الى نغمة
مطلق المثني ، وجعلها مقطع الصوت .

• وأما الصوت الذي يجمع العشر النغم على التقديم والتأخير ، فهو (شعر) :

فانك إذ أطعمتني منك بالرضى وأياستني من بعد ذلك بالغضب
كممكنة من ضرعها كفّ حالب ودافعة من بعد ذلك ما حلب^(٢)

فهذا شرح أمر النغم وما يجري عليه . ومن تدبره بفهم وامتنع ما يثبت فيه ، وقف
من أمر الغناء على ما يكنفي به ويتقدم في أمر المعرفة به أهل عصره ؛ فان أكثرهم ممن
يدّعي الخلق بهذه الصناعة ، [و] لو امتنع بهذه المسألة عن بعض ما ذكرنا في هذا
الكتاب لتقصرت معرفته عنه .

تمت الرسالة يوم پنجشنبه ٢ شهر جمادى^(٣) الأولى سنة ١٠٧٣

تمت^(٤) مقابلته بالأصل يوم الأربعاء ٢٥ المحرم^(٥) سنة ١٠٧٤ في بلدة كشمير

= ساسى • وقد شرح أبو الفرج هذا البيت والذي يأتى بعده فقال : « الخيف
الذى عناه كثير ليس بخيف منى ، بل هو موضع آخر فى بلاد ضمره •
والطلول : جمع طلل ، وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الديار ،
ويزعم أهل الجاهلية أن الصدى طائر يخرج من رأس المقتول ، فلا يزال يصيح حتى
يدرك بثاره ، قال طرفة :

كريم يروى نفسه فى حياته ستعلم ، ان متنا صدى ، أينا الصدى •
والحمام : القمري ونحوها من الطير • والهديل : أصواتها • »

(١) الشعر لابن هرمة ، ابراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة بن هذيل ، من مخضرمي
شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، ولد سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور فى سنة
أربعين ومئة قصيدته التى يقول فيها :

ان الغوانى قد أعرضن مقلية لما رمى هدف الخمسين ميلادى

ثم عمر بعدها مدة طويلة • (وأخباره فى الأغاني ٤ : ١٠١ الى ١١٣) •

(٢) البيتان فى الأصل :

ذانك طمعتنى منك بالرضى واناسين من بعد ذلك بالغضب

كممطيه من طوعها كيف حالت ودافعه من بعد ذلك ما حلت

والنصحیح من الأغاني ٨ : ٤٤ ط ساسى •

(٣) فى الأصل « جماد » وصوابه التانيث « جمادى » كما أثبتناه • أما (شهر)

فأضافتها هنا ممنوعة •

(٤) فى الأصل « تم » • (٥) فى الأصل « محرم » والصواب تعريفه •